فالاستفتاء يوضح مزاج الناس ويكسب القيادة مشروعية وصدقية أو يحررها منهما، وهو مخرج جيد شأن الانتخابات العامة لتخفيف ولجم التناقضات الداخلية... وبصراحة ان شعبنا لا يحتاج الى مزيد من التفسخ والخلاف.

ومنذ زمن يناضل اليسار الفلسطيني لتعميق الديمقراطية على أساس التمثيل النسبي ومبدأ الكفاءة والمساءلة والقيادة الجماعية.. ولا نستطيع القول ان القيادة البرجوازية اليمينية معادية تماما للديمقراطية، فهي تتقبلها جزئيا مثلما ان انحيازها لها قد نما مع مرور الزمن، غير ان المطلوب ديمقراطية أعمق وأوسع توحد الشعب حقا وتوظف كامل طاقاته حقا حتى في لحظات الانقسام السياسي.

ويؤسفني القول ان المجتمع الاسرائيلي، اي عدونا القومي الذي يمارس سياسة دموية واحتلالية واستيطانية وعنصرية ضدنا هو على الصعيد الداخلي ديمقراطي حقا وموحد الطاقات حقا ولا يعيبنا ان نتعلم منه.. وهنا تحضرني طرفة كتبها المفكر السوري الراحل ياسين الحافظ حينما قارن في أحد مؤلفاته بين الثورة الفيتنامية والثورة العربية، كتب بما معناه ان هوشي منه القائد الملهم للثورة الفيتنامية أصدر تعليماته للثوار بعد اقتحامهم قلعة "بيان ديان فو" حيث استسلمت الحامية الفرنسية عام ١٩٥٤ داعيا اياهم للمحافظة على المكتبة الفرنسية الخصبة.. بينما المظاهرات في سوريا عام ١٩٤٥ واحتفالا بالجلاء قامت بمهاجمة المكتبة الفرنسية وأشعلت فيها النيران.. "***فليس العار ان تتعلم حتى من عدوك بل العار ان تبقى على جهلك***".

واريد ان اذكر أمامكم مشهدا حصل معي في فترة التحقيق، هذا الموضوع الذي لم يحن بعد هتك اسراره والخوض فيه، فالضابط الرئيسي الذى تولى معظم فترة الاستجواب كان يتمتع بقسط لا بأس به من الثقافة والذكاء والالحاح.. طبعا لا استطيع امتداحه أخلاقيا، فهو مجرد جلاد ويشتغل في مهنة أكرهها تماما سواء كانت في هذا البلاد أو أية بلاد اخرى، حاول مرة الاستخفاف بالعرب واهانتهم بالقول انكم لستم ديمقراطيين، حكاما وشعوبا، بينما الديمقراطية ركن رئيسي في الحضارة المعاصرة..الخ.

فكان ردي، لقد بدأنا الخطوات الاولى وان بريطانيا وفرنسا باعتبارهما المعقلين الكلاسيكيين للديمقراطية كانتا ذات يوم غير ديمقراطيتين، وقد سارا في هذا المسار، وها نحن نسير ايضا.